المهدوية في التراث الإسلامي – بين التنظير والتطبيق-

Mahdism in the Islamic heritage - between theory and application

سمير بن لكحل[1*]، محمد صابري[2]

[1] مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة. جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

samir.benlakhal@univ-biskra.dz

[2] مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة. جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)

mohammed.sabri@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2021/10/08 تاريخ القبول: 2022/04/22 تاريخ النشر: 2022/06/01

ملخص:

تعد عقيدة المهدوية والقول بالمخلص من أهم الآليات التي استخدمتها الفئات الخارجة عن السلطة المركزية، حيث راجت هذه الفكرة خلال التاريخ الإسلامي مستندة على روايات ونصوص دينية ومستغلة حالات الامتعاض الاجتماعي من السلطة المركزية، خاصة من قبل الحزب الشيعي بكل أطيافه وفقا لتأكيده على نظرية الحق الإلهي في الحكم. وفي المقابل فقد أثرت عقيدة المهدي على مسيرة التاريخ الإسلامي الوسيط على مستويات شتى أهمها السياسي والعقدي والاجتماعي وهو ما سنتناوله بالبحث في هذا المقال الموسوم ب «المهدوية في التراث الإسلامي – بين التنظير والتطبيق-"

كلمات مفتاحيه: المهدوية – التشيع – نظرية الحكم – الغيبة – الرجعة – الخلافة.

Abstract:

The Doctrine of Mahdism and the saying of savior is one of the most important mechanisms used by groups outside the central authority, where this idea prevailed during Islamic history based on religious narratives and texts and exploited cases of social resentment from the central authority, especially by the Shiite party in all its spectra according to its emphasis on the theory of the divine right to rule.

On the other hand, the Mahdi doctrine has influenced the march of intermediate Islamic history on various levels, the most important of which is political, complex and social, which we will address by researching this article, which is labeled "Mahdism in the Islamic heritage - between theory and practice-"

Keywords: *Mahdism – Shiism – Judgment Theory – alibi – take back – Succession.*

**المؤلف المرسل

1. مقدمة :

يعد التاريخ العقائدي والمذهبي رافداً من روافد التاريخ الإسلامي ككل، نظرا للتنوع الهائل فيه بين مختلف الفرق والمذاهب اعتقاديا وعمليا وأثر ذلك على مسار الحضارة الإسلامية، وقد صيغ هذا التنوع بداية على الأساس السياسي البحت، أو حول الحكم وتوابعه، من الأحقية فيه بين اشتراط النسب القرشي عند جمهور السنة وحصره في بيت النبي عليه الصلاة والسلام مثلما ترى عامة الشيعة أو جعله حقا مشاعا لكل من صلح من المسلمين برأي الخوارج وكذلك إلى كيفية اختيار الحاكم، ثم إلى طبيعته وعلاقته بالشريعة حاميا لها وضامنا لتحكيمها مثلما ترى السنة، أو مساهما فيها بحكم كونه إماما دينيا معصوما مثلما ترى الشيعة.

وقد تجسد الصراع حول هذه المفاهيم على عدة أوجه أبرزها كان السياسي، والعقائدي، هذا الأخير الذي اتُخذ شرعية للصراع بين الحاكم والمعارضة خاصة منها الشيعية، لتندرج تحت هذا الوجه مظاهر متعددة استخدمت فيه كانت عقيدة المهدي إحداها، وهي فكرة مرتبطة بظهور شخص من ذرية النبي عليه الصلاة والسلام آخر الزمان يكون على يديه إعادة العدل بين الناس، والذي جاء ذكره عند السنة والشيعة على حد سواء، وهو ما سنتناوله في هذه الدراسة الموسومة بـ" **المهدوية في التراث الإسلامي – بين التنظير والتطبيق-**".

وللإحاطة بتفاصيل الموضوع توجب علينا طرح الإشكالية التالية: **إلى أي مدى أثرت فكرة المهدوية على مسيرة التاريخ السياسي الإسلامي فكرا وعملا؟**

يهدف هذا المقال إلى بلورة صورة واضحة حول أثر فكرة الانتظار والخلاص في مسيرة التاريخ الإسلامي من حيث تتبع مشروعيتها التاريخية ودورها في الصراع الفكري والسياسي عبر حقبة التاريخ الإسلامي الوسيط.

وبالنسبة لمنهجية البحث فقد استخدمنا المنهج التاريخي من خلال تتبع الفكرة انطلاقا من المنشأ إلى التطبيق والمنهج التحليلي للإحاطة بالمادة المصدرية التي تناولت القضية المدروسة محاولين تفكيكها وتحليلها.

2. المهدية في الفكر الإسلامي

رأينا آنفا أن فكرة المهدوية هي مما تشترك فيه عديد الأديان على اختلاف مشاربها وباعتبار الإسلام أحد الأديان التي جاء فيها القول بالفكرة وتنوعت فيها ظروف استقبالها بين المسلمين بين من آمن بها صدقا باعتبار حجية الأحاديث التي ذكرتها وبين من شكك فيها طعنا في الأحاديث ذاتها، وبين من آمن بالفكرة من جانب سياسي تأثرا بالظروف السياسية التي شهدتها الأمة.

وعموما فيظهر أن الإيمان بالفكرة قد شاع بين عموم المسلمين، وقد ذكر العلامة ابن خلدون في ذلك: "**أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر العصور أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويظهر العدل ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي**" (ابن خلدون، 2001، ص388).

1.2 مرتكزات الفكرة عن أهل السنة:

وعلى الصعيد السني فإن الدارس لمصنفات الحديث السنية الخاصة بكتب الملاحم والفتن يدرك مدى أهمية هذه الفكرة عند أهل السنة وأنها ذات حضور قوي ضمن إطار العقائد الفرعية، خاصة فيما تعلق بالمهدي، فالأحاديث الواردة في المهدي كثيرة جدا تبلغ حد التواتر، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد (الإدريسي، 2006، ص10).

ومن العلماء الذين نصوا على تواتر أحاديث المهدي، أبو الحسن الآبري (ت 363هـ/974م) في كتاب مناقب الشافعي ما نصه: "**تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة**

رواتها عن المصطفى عليه السلام بمجيء المهدي ..."(تحقيق جمال عزون الدار الأثرية عمان الاردن 2009 ص 95) ، والسيوطي (ت 911هـ/1505م) مثلا ذكر في مقدمة كتابه العرف الوردي في أخبار المهدي ذكر أنه جمع فيه الأحاديث والآثار الواردة في المهدي حيث لخص فيه الأربعين حديثا التي جمعها الحافظ أبو نعيم وزاد عليه ما فاته (السيوطي، 2006، ص48)، وقد ذكر محمد السفاريني (ت 1184هـ/1770م)، في كتابه لوائح الأنوار البهية في عقد الفرقة المرضية بقوله: "...**وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عد من معتقداتهم**..."(محمد بن أحمد السفاريني لوائح الأنوار البهية في عقد الفرقة المرضية، ج2، ص 84. مؤسسة الخافقين دمشق، 1986 ط2)

وفي هذا الإطار فقد وردت في كتب السنن والعقيدة العشرات من الأحاديث والآثار الدالة على عقيدة المهدي، بل قد خصصت لها كتب تعنى بها خاصة أو تدرجها ضمن كتب الملاحم والفتن، وقد أسهبت الأحاديث المروية عن النبي عليه الصلاة والسلام في ذكر المهدي وكل شيء يتعلق بخروجه. فهي تصف لنا اسمه فمن حديث ابن مسعود أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **"لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل بواطئ اسمه اسمي "**(التبريزي، د.ت، ص252)، (السيوطي، 2006، ص52)، وتذكر نسبه وأنه من أهل البيت، من أولاد فاطمة. قال النبي عليه الصلاة والسلام: "**المهدي من عترتي من أولاد فاطمة**" (أبو داوود، د.ت، ص41)، (ابن كثير، 1997، ص59)، (السيوطي، 2006، ص50).

كما ذكرت مدة إقامته في الملك وبعض صفاته، مثل ما أورد ابن ماجة (ت 275هـ/889م) في سننه من حديث أبي سعيد الخدري أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**يكون في أمتي المهدي، إن قصر فسبع وإلا فتسع فتنعم أمتي فيه نعمة لم ينعموا مثلها قط، تؤتي أكلها ولا تدخر منه شيئًا، والمال يومئذ كدوس، فيقوم الرجل فيقول: يا مهدي أعطني، فيقول: خذ** "(ابن ماجة، د.ت، ص ص1366 - 1367)، هذا

وقد أورد ت الأحاديث الواردة مهام المهدي وأنه يملئ الأرض عدلا كما ملئت ظلما وعدوانا (الموصلي، 1990، ص ص274 - 275).

ومن هذا فإننا نلمح في المهدي عند أهل السنة حاكما أو خليفة يجيء بعد امتلاء الأرض بالظلم وتفشيه، ويكون من آل بيت المصطفى عليه الصلاة والسلام، من ذرية ابنته فاطمة. وتحديدا من أولاد الحسن (الجوزية، د.ت، ص151)، يتصف بالعدل والكرم ويكون من أشراط الساعة.

2.2 استعمال لفظ المهدي قبل ظهوره اصطلاحيا ودلالاته

لقد سبق أن رأينا أن لفظ المهدي لغويا دل على الرشاد والهداية للخير، وقد شاع استخدامه بهذا المعنى بكثرة قبل تطوره لاحقا على يد الشيعة أي قبل استخدامه اصطلاحيا في صورة من سيغير الأوضاع، وتوفر لنا المصادر إشارات كثيرة حول استعمال اللفظ بمعناه اللفظي، فالرسول عليه الصلاة والسلام قال في الخلفاء الراشدين: **"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي"** (الجوزية، د.ت، ص150)، مع أنه ثبت عنه أحاديث المهدي المنتظر، كما نجد حسان بن ثابت (ت 54هـ/674م)، قد رثى النبي عليه السلام بقوله: [البسيط]

ما بال عينك لا تنام كأنما كحلت مآقيها بكحل الأرمد

جزعا على المهدي أصبح ثاويا يا خير من وطئ الثرى لاتبعد (ابن سعد، د.ت، ص280).

وقد نعت معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/ 661-680م) عثمان بن عفان (13-35هـ/ 634-656م) به في أحد مراسلاته مع علي ابن أبي طالب (35-40هـ/ 656-660م)، بقوله: **"أما بعد فإن عثمان كان هاديا مهديا"** (المنقري، 1972، ص200)، كما مدح به حجر بن عدي الكندي به علي بن أبي طالب بقوله: [الرمل]

يارب سلم لنا عليا سلم لنا المهذب النقيا

المؤمن المسترشد المرضيا واجعله هادي امة مهديا (المنقري، 1972، ص398)

وقد شاع توظيفه عصر الدولة الأموية، وخصّ للتشريف والمدح كما في قول زهير ابن القين للحسين بن علي في وقعة كربلاء: [الرمل]

أقدم هديت هاديا مهديا فاليوم تلقى جدك النبيا

وحسنا والمرتضى عليا (البلاذري، 1996، ص403)

ونجد سليمان بن صرد، وصف به الحسين بن علي (ت61هـ/ 681م) بعد الموقعة المذكورة بقوله: "**اللهم ارحم الحسين الشهيد ابن الشهيد، المهدي ابن المهدي**" (الطبري، د.ت، ص546)، كما نجد أن اللفظ قد ورد على لسان كثير من شعراء الدولة الأموية مدحًا به لخلفائها وعلى رأسهم الفرزدق الذي مدح الخليفة سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/ 715-718م) بقوله: [الكامل]

وألقيت من كفيك حبل جماعةٍ وطاعة مهدي شديد النقائم (الفرزدق، 1984، ص311).

كما مدح نفس الشاعر الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ/ 724-743م) به: [البسيط]

رأيتك قد ملأت الأرض عدلاً ونورًا وهي ملبسةٌ ظلام (الفرزدق، 1984، ص294).

كل هذه الإشارات تدل على شيوع هذه العقيدة وانتشارها في المجتمع الإسلامي آنذاك وفي هذا رد على من أنكر نسبتها إلى الإسلام[1].

3.2-الشيعة ومفهوم المهدوية

إن الاعتقاد بالإمام المنتظر يسود كامل فرق الشيعة، ويعتقد كل فرق منها بعودته إلى الظهور في المستقبل لكي يختتم سلسلة الأئمة التي يؤمن بها الفرع من الشيعة (تسهر، د.ت، ص214)، باستثناء ما تراه الشيعة الزيدية من عدم انتظار المهدي لأنه حسبهم مرتبط بالإمامة فكل فاطمي شجاع عالم وزاهد خرج بالسيف فهو إمام ومهدي (صبحي، 1990، ص405).

ومن هذا نرى بروز مصطلح جديد وهو العودة أو الرجعة، وهي عند الشيعة عودة الميت أو المختفي إلى الظهور آو الحياة من جديد في الدور الأخير دور الإحتضار لهذا الكون (حسن، 1935، ص35)، وقد صيغ هذا المفهوم حسب اعتقاد كل فرقة شيعية بين من قال بالرجعة أو قال بالغيبة، لأنهما مفهومان صيغا لبيان أمرين مختلفين فالرجعة أنيطت بمن مات وسيعود أما الغيبة فصاحبها غيبه الله فقط وسيرجع من جديد حين تتهيأ الظروف لعودته.

وتطورت ذات العقيدة عند الشيعة بفعل مناهضة الخلفاء لفكرة الحق الإلهي للأسرة العلوية في الحكم، وبهذا قويت الفكرة وصارت عصبا حيويًا في مجموعة المبادئ الشيعية (تسهر، د.ت، ص219)، خاصة بعد وقعة كربلاء ومقتل الحسين بن علي رضي الله عنه، حيث أن هذا الحدث صار نقطة تحول في التاريخ السياسي والعقائدي الشيعي إلى تشيع ذو صبغة مهدوية (لويس، 1980، ص61)، كما مثل انتصارا للتشيع، فقد أقبل بفضله الموالي على التشيع، وأصبح البيت العلوي ممثلًا للمعارضة الشعبية على نسق ثورات الخوارج (إسماعيل، 1997، ص71).

وبعد أن استعرضنا ملامح شخصية المهدي عند السنة والشيعة يمكننا أن نرى بوضوح اختلاف الاعتقاد بهذه الفكرة بين الطرفين، ويبدو واضحا أنها لا تمثل إلا جزء من عقائد أهل السنة؛ بدليل عدم قبولها عند الكثير، نجد أنها تمثل قطب الرحى عند معظم فرق الشيعة.

3. ظهور فكرة المهدوية عمليا وتطورها في المشرق

إذا ما درسنا تطبيقات الفكرة المهدوية وتنزيلها من إطارها النظري إلى الواقع العملي في التاريخ الإسلامي نجد ارتباطها بالجانب الشيعي الباحث عن العودة إلى سد الحكم بعد اعتلاء الأمويين لها والعباسيين لاحقًا، بحيث أننا نجد الكثير من أبناء البيت العلوي والهاشمي عموما ممن ادعوها أو دعيت لهم.

1.3 الكيسانية وعلاقتها بالفكرة:

كان مبدأ استعمال كلمة المهدي بمعناها الاصطلاحي الدال على الإمام المؤيد من الله والمميز بصفات خاصة تؤهله لأن يكون إماما سياسيا ودينيا بدأت بالكيسانية[2]، وقد ارتبطت بشخص محمد ابن علي ابن أبي طالب، وبحركة المختار ابن أبي عبيد الثقفي، ويعد هذا الأخير أول من قال بإمامته (مؤلف مجهول، د.ت، ص164)، ومحمد وإن لم يكن ابنا لعلي من فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن الشيعة في زمانه كانت تتغالى فيه، وتدعي إمامته ولقبوه بالمهدي (الذهبي، 1982، ص111)، (ابن عساكر، 1997، ص321)، مع أنه لم يدعيها لنفسه، فقد كان الناس في وقته يقولون له سلام عليك يا

مهدي فيقول: "**اجل أنا مهدي، أهدي إلى الرشد والخير، اسمي محمد فقولوا سلام عليك يا محمد أو يا أبا قاسم**" (الذهبي، 1982، ج4، ص123).

وبعد دخول المختار للكوفة بدأ يروج لدعوته تحت ذريعة أنه مبعوث إليهم من المهدي ابن الوصي أمينا ومنتخبًا وأميرا (البلاذري، 1996، ج6، ص380)، وأنه أمره بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته (ابن الأثير، 1987، ص495)، وقد كان يخاطبه بالمهدية في مراسلاته: "**للمهدي محمد بن علي من المختار...يحفظون المال حتى يؤدوه إليك ...فإنما نحن شيعتك وأنصارك...**" (مؤلف مجهول، د.ت، ص ص102 - 103).

ومن الواضح أن شخصية المختار المحبة للرئاسة هي من أوحت له فكرة تبني مهدوية محمد بن علي أو اختراعها وليس الأخير من طلبها لنفسه بدليل كلام الذهبي السابق حول رفضه لتلقيبه بالمهدي، كما أن إبراهيم بن الأشتر(ت 67هـ/687م) أحد أعيان شيعة الكوفة، ارتاب بكتب محمد إليه والتي يدعوه فيها لنصرة المختار، حيث أنه قد كاتب محمدًا قبل ذلك فما رآه قط إلا كتب باسمه واسم أبيه لا يزيد على ذلك ولم يقبل به حتى أشهد عليه المختار شهودًا أنه من عند محمد (البلاذري، 1996، ج6، ص ص385 - 386)، (الطبري، د.ت، ج6، ص ص16 - 17)، وكان بعض شيعة الكوفة ممن طلب المختار بيعتهم قد خرجوا لسؤال محمد عما جاء به المختار إليهم من عنده فكان جوابه أن الله سينصرنا بمن شاء من خلقه، فاعتبروا ذلك إذنًا للمختار(الطبري، د.ت، ج6، ص ص13 - 14).

ومن الممكن أن هذا الجواب المبهم من محمد كان نتيجة حالة الضيق التي يعيشها أفراد البيت العلوي، خاصة محمد الذي كان قد دعاه عبد الله بن الزبير لبيعته فلما رفض آذاه وأساء جواره وهدده إن لم يفعل (الطبري، د.ت، ج4، ص169).

وقد تناولت المصادر بشكل كبير طموح المختار السياسي قبل القول بفكرة المهدية وبعدها، ومن ذلك نيته في قتل محمد حينما سمع بعزمه المجيء للكوفة وبالتالي ذهاب رئاسته بها (البغدادي ع.، 1995، ص47)، ويظهر ذلك جليا من خلال حوار المختار مع أحد أتباعه بقوله: "**لقد ظن الناس أن قيامك بهذا الأمر دينونة**"، فقال: "**لا لعمري ما كان إلا لطلب دنيا...ما كنت أقدر على ما أردت إلا بالدعاء إلى الطلب بثار الحسين**" (الدينوري، د.ت، ص307).

وفي المقابل فقد بقي ما جاء به المختار أساسا لظهور عقيدة المهدي، وعقيدة الانتظار التي انبثقت عنها فرسخت في قلوب أتباع فرقته، وهذا ما عبّر عنه شعراؤها الذين جسّدوا عقيدتهم شعرا دافعوا فيه عنها مثل كثير عزّه، الذي ذكر أن المهدي هو محمد بن علي بقوله: [المتدارك]

هو المهدي أخبرناه كعب أخو الأحبار في الحقب الخوالي (الزبيري، د.ت، ص41).

وتصريحه بعقيدة الرجعة بقوله: [الرجز]

وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمه اللواء

تغيب لا يرى فيهم زمانا برضوى عنده عسل وماء (الذهبي، 1982، ج4، ص112).

وهذا المعنى هو ما عبر عنه شاعر الكيسانية الآخر السيد الحميري حين قال: [المتقارب]

وما ذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرض عظاما

لقد أمسى بمورق شعب رضوى تتابعه الملائكة الكراما

تمام مودة المهدي حتى تروا راياتنا تترى نظاما (عساكر، د.ت، ج54، ص322).

2.3 رواج النبوات وأثره في تطور الفكرة:

لقد أمكن استخدام عقيدة المهدي من قبل بعض الثائرين المتطلعين إلى قلب نظام الحكم خلال العصر الأول للإسلام (تسهير، د.ت، ص ص218 - 219)، وقد استندت الفكرة على ما عرف بالنبوءات والملاحم التي انتشرت تلك الفترة، وتركزت حول قرب ظهور رجل يعيد العدل ويأخذ بأيدي الظلمة، وقد تنوعت هذه النبوءات حسب كل فئة أو طرف معين، فقد ذكر المؤرخون قول عبد الله بن عمر (ت 73هـ/ 693م): " **يا ليت شعري، من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة يملأ الأرض عدلا** "(الأزدي، 1967، ص80)، دلالةً على عمر ابن عبد العزيز، كذلك نجد الفكرة منتشرة في اليمن وتتحدث عن ظهور "**القحطاني**" الذي سيعيد العدل (بدوي، 1976، ص110)، حيث نلاحظ أن الكثير من اليمنية الذين خرجوا على السلطة ادعوا أنهم هم المقصودون به، ومنهم عبد الرحمن ابن الأشعث الذي خرج على الحجاج بن يوسف (ت96هـ/ 715م) (المسعودي،

1893، ص314)، ويبدو أن هذه الادعاءات كانت لها دوافع قومية، لذلك نجد أن تميم شاركت اليمن الفكرة وادعت أن المهدي من تميم (صبحي، 1990، ص407).

وعلى صعيد آخر نجد نبوءة أخرى تتعلق ببني أمية وهي نبوءة "**السفياني**" الذي سيعيد ملك بني أمية بعد أن يزول، حيث يروي بني أمية أنه سيخرج في الوادي اليابس من أرض الشام في غسان وقضاعة ولخم وجذام، وقد خرج أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية على أبي العباس السفاح ودعي له أصحابه وقالوا هو السفياني الذي يذكر (الطبري، د.ت، ج7، ص444)، وهو ما أشار إليه المأمون الخليفة العباسي (196-218هـ/ 812-833م)، بقوله: **"وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه"** (الطبري، د.ت، ج8، ص652).

وبهذا نرى أن النبوءات كانت أحد العوامل التي استند عليها المعارضون للسلطة وذلك على مستويات شتى الأول سياسي وهو الرغبة في الرئاسة والحكم تحت مظلة الشرعية التاريخية وهي متعلقة بالشيعة أكثر كونهم مطالبين بخلافة النبي عليه الصلاة والسلام بحكم النسب، والثاني قومي وهو رغبة منهم في تأييد القبائل التي ينتمي إليها المعارضون وراجت بين أفراد قبائلهم أن المهدي يكون منها وتعلق باليمنية أكثر، والثالث إجتماعي وهو الرغبة في إحلال العدل بعد الجور وهو أمر متعلق بجميع من شعر بالظلم فخرج مع من ادعاها.

3.3-علاقة الدعوة العباسية بفكرة المهدوية

يعتبر العباسيون من أكثر من استفاد من فكرة النبوءات الخاصة بالمهدي، حيث يروي الفرع العباسي -الذي قطف ثمار ما قاساه العلويون- أحاديث المهدي وأنه يكون منهم كالأحاديث التي ينقلونها عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه أعلم العباس بن عبد المطلب أن الخلافة تؤول إلى ولده (الطبري، د.ت، ج7، ص421)، كما ينقل ابن عباس (ت 78هـ/700م)، عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: **"منا السفاح ومنا المنصور ومنا المهدي** "(البغدادي أ.، 2001، ج1، ص369)، ولما ولد علي بن عبد الله بن العباس حنّكه

علي ابن أبي طالب ودعا له ثم رده إليه وقال :**"خذ إليك أبا الأملاك** "(مجهول، د.ت، ص134).

وقد روّج العباسيون لمثل هذه الأحاديث ونشروها ووجهوها لخدمة طموحاتهم السياسية باعتبارهم ورثة علم علي ابن أبي طالب من خلال تنازل أبو هاشم عن الإمامة لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس (ت 110هـ/729م) حين أفضى له بسرائر الدعوة واعلمه أن الخلافة صائرة إلى ولده (المسعودي، 1893، ص338)، وأعطاه الصحيفة الصفراء التي ورثها عن أبيه والتي فيها علم رايات خراسان السود متى تكون ومتى تقوم ومتى زمانها وعلاماتها وآياتها وأي أحياء العرب أنصارهم وأسماء رجال يقومون بذلك وكيف صفتهم (مجهول، د.ت، ص ص183 - 184)، وأنه نقل عن أبيه محمد عن جده علي ابن أبي طالب أن الخلافة في بني عمومتكم من بني العباس (مجهول، د.ت، ص185).

وقد ارتبطت فكرة المهدي في الدعوة العباسية بابن الحارثية منهم، ويدلنا على ذلك أن أبا مسلم الخراساني لما اقترب من الحيرة وجّه من يسال عمّن كان فيها من بني العباس ،فلما رآهم الرسول قال أيكم ابن الحارثية (الطبري ا.، 1973، ص89)، وهو أبو العباس السفاح الذي حين ولد أخرجه أبوه في خرقة إلى من حضر عنده من بني هاشم وقال: **"والله ليتمنّ هذا الأمر حتى تدركوا ثأركم من عدوكم"** (الأزدي، 1967، ص18)، وقد لقّب بعد فيما بعد بالقائم والمرتضي والمهتدي (الصفدي، 2000، ج17، ص232)، والهادي من آل محمد (العمراني، 1999، ص59)، والوارث للإمامة (الحنبلي، 1988، ج2، ص13).

وبسبب هذه الأخبار حول القائم من آل العباس وأنه ابن الحارثية فقد قام الأمويون بجملة إجراءات ضد الفرع العباسي، ومنها أنهم منعوهم من الزواج بالحارثيات (الأزدي أ.، د.ت، ص ص272 - 273)، إلى أن تولى الأمر عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/ 718-720م) فأذن لمحمد بن علي بن عبد الله بن العباس من الزواج منهم فتزوج ريطة بنت عبيد الله الحارثية وولدت أبا العباس السفاح الخليفة العباسي الأول (132-136هـ/ 750-754م) (مجهول، د.ت، ص ص200 - 201).

ويبدو أن صفة أبا العباس وأنه القائم من بني العباس كانت عند مروان ابن محمد (127-132هـ/ 745-750م) لكن التبس عليه الأمر، فأمر جنوده بأخذ إبراهيم الإمام (ت

131هـ/ 749) ابن محمد بن علي وأعطاهم صفة أبي العباس، فلما أتوه بإبراهيم قال: ليست هذه الصفة التي وصفت لكم، فردهم في طلبه (الطبري ا.، 1973، ج7، ص422).

هكذا نجد أن العباسيين قد استفادوا من الفكرة على جميع الأصعدة، من نبوءات خصتهم بالإمامة دون بني عمومتهم من الطالبيين، وحتى من نبوءات القحطاني، الذي ذكرنا أنه منتظر اليمانية محييا لأمجادها، فرمزية ابن الحارثية اليمنية يمكن أن تكون أحد الأسباب التي جعلت الإمامة في أبي العباس عوضًا عن المنصور (136-158هـ/ 754-775م) ابن سلّامة البربرية (السيوطي، 2000، ص200)، (الطبري ا.، 1973، ج13، ص459)، مع أنه أكبر سنًا من أبي العباس، وأكثر مقدرةً، فقد وصفه المؤرخون بأنه كان فحل بني العباس، ومن أفراد الدهر حزمًا ودهاءًا، وأنه استطاع أن يبيد كل من خرج عنه ووطد ملك دولته حين آلت إليه الخلافة (الذهبي، 1982، ج7، ص83).

كما لا يخفى طموحه السياسي حتى قبل قيام الدولة، حيث يورد لنا ابن العمراني روايةً مفادها أنه لما تم القبض على إبراهيم الإمام دخل أبو العباس الكوفة واستخبر عن أخويه أبي العباس وأبي جعفر إلى أن وجدهما وتحدث معهما في أمر الخلافة من يليها بعد إبراهيم إن حدث له أمر، فقال أبو العباس: أنا، وقال أبو جعفر: أنا، فقال: الآن بعد خلافكما فلا بد من الرجوع للإمام (العمراني، 1999، ص58).

ومن الممكن أن العباسيين ركّزوا على فكرة ابن الحارثية أكثر استغلالاً للوضع السيئ الذي لقيه الفرع اليماني بعد اعتلاء يزيد بن عبد الملك للخلافة (101-105هـ/ 719-723م). حيث أن هذا الأخير ارتمى في أحضان القبائل القيسية وأبعد اليمانية الذين كانوا عماد الدولة (فوزي، 2005، ص63).

كما أن نبوءة القحطاني يمكن أن تكون أحد الأسباب التي جعلت إبراهيم الإمام يوصي أبا مسلم حينما أرسله إلى خراسان باليمنية بقوله: "**أنظر إلى هذا الحي من اليمن فالزمهم واسكن بين أظهرهم، فإن الله تعالى لا يتم هذا الأمر إلا بهم**" (النويري، د.ت، ج22، ص10)،

ويتضح هكذا أن هذه الفكرة قد لعبت الدور المهم في الدعوة العباسية من خلال ترويجهم لأحاديثها وحسن استغلالهم لها لتصبح أداة لإعطاء الأمل لقطاعات هامة من

مجتمع الدولة الأموية بكل أطيافه، خاصة من عانى من سياسات بعض الخلفاء الأمويين، حيث أضحت تنشد في القائم الهاشمي مخلصا.

4.3-مهدوية النفس الزكية:

ومن جملة من ادعى المهدوية ضمن إطار البيت العلوي الباحث عن الخلافة نجد محمد ابن عبدا لله ابن الحسن ابن الحسن ابن علي ابن أبي طالب.

لما ولد محمد ابن عبد الله سر به آل محمد وكانوا يروون عن النبي صل الله عليه وسلم أن اسم المهدي محمد ابن عبد الله فأملوه ورجوه، وتباشرت به الشيعة، وفي ذلك يقول الشاعر: [البسيط]

ليهنكم المولود آل محمد إمام هدى هادي الطريقة مهتدي (الأصفهاني، 1965، ص165)

وقد كان يوجد في الرواية أنه يملك رجل اسمه اسم النبي صلى الله عليه وسلم واسم أمه ثلاثة أحرف أولها هاء وأخرها دال، وكانوا يضنونه محمد ابن عبد الله ابن الحسن، وأمه هند (الأصفهاني، 1965، ص162)، وقد اتصف محمد بصفات الكمال وخصال الفضل ومشابهة النبي صلي الله عليه وسلم في الخلق والخلق، حتى قيل أن خاتمه بين كتفيه، وكان أهل المدينة يعدون فيه الكمال ما لو جاز أن يبعث الله نبيًا بعد محمد عليه السلام لكان هو (الحنبلي، 1988، ج2، ص201).

وعندما شب محمد شاع بين الناس بأنه هو المهدي، وأثبت أبوه هذا في نفوس طوائف من الناس، فكان يقول عن ابنه: "**هذا هو المهدي الذي بشر به**" (البلاذري، 1996، ج3، ص307)، بينما يذكر المسعودي أنه تسمّى بالمهدي حين خرج على أبي جعفر المنصور (المسعودي، 1893، ص314).

وكان بنو هاشم الطالبيين والعباسيين قد اجتمعوا في ذيل الدولة الأموية وتذاكروا حالهم واتفقوا على مبايعة النفس الزكية، وقد حضر الجمع السفاح والمنصور إضافة إلى جعفر بن محمد (ابن الطقطقا، د.ت، ص ص164 - 165)، هذا الأخير الذي نجده فيما بعد يرفض الخلافة ويشير على آل الحسن برفضها بعد نجاح الدعوة ونية أبي سلمه الخلال تحويلها من البيت العباسي إلى البيت العلوي، بحجة أنه سيفشل في مسعاه لأن أبا هاشم أخبرهم أن الأمر يكون في ولد العباس (الأزدي أ.، د.ت، ج2، ص277).

وقد لعبت المهدوية دورها في الصراع الذي دار بين محمد النفس الزكية والمنصور فيما بعد، حيث أن المنصور أرسل أحد مواليه ليسمع ما يقول محمد على المنبر، فسمعه يقول: **"إنكم لا تشكون أني أنا المهدي، وأنا هو"**، فلما سمع المنصور بذلك قال: **"كذب عدو الله بل هو ابني"** (الأصفهاني، 1965، ص162).

وحتى بعد مقتل محمد النفس الزكية سنة (145هـ/763م)، بقيت طوائف شيعية قالت برجعته ولم تصدق بموته، وزعمت إحداها وهي المحمدية أنه في جبل حاجر من ناحية نجد استنادًا على حديث يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي (البغدادي ع.، 1995، ص ص67 - 68)، كما ادعى ذلك قوم من الجارودية (الإسفراييني، 1983، ص35).

4. خاتمة:

- وفي الأخير نخلص إلى أن فكرة المهدوية ليست وليدة تعدد الثقافات، حتى ولو أننا نراها ضمن عقائد الأديان الأخرى، بل إن اعتقادها عالميا وضمن ثقافات وعقائد مختلفة يؤكد أقدميتها على الإسلام كعقيدة تحمل أفكار غيبية.
- ومن الأدلة على صدقية الفكرة إسلاميا وعدم اختراعها عن طريق التثاقف هو شرعيتها من خلال توافر الأحاديث بشأنها، ورواج مصطلحاتها بين المسلمين من وقت مبكر من تاريخ الإسلام يدحض هذا الطرح أيضا ذلك أن الثاقف ضمن إطار الأمة الإسلامية ذات المشارب الثقافية والخلفيات العقدية لم يحصل في مرحلة الإسلام الأولى، أو على الأقل لم يحمل بداية التأثر بالعقائد الماضية مثلما رأينا فيما بعد.
- تحولت فكرة المهدي إلى أداة لمعارضة السلطة، حيث انتشرت وتجذّرت بين الشيعة أكثر من غيرهم وتعني استمرار الأمل في الخلاص رغم ضراوة الظروف المحيطة التي بسببها يختفي الإمام.
- ساهم في تطور هذه العقيدة الظروف السياسية والاجتماعية ودفعت وتيرتها مختلف العصبيات والمكونات التي وجد كل مكون فيها فرصة لعدل ضائع تنشده أو عز ترقبه.

- أفرزت المهدوية عبقرية العباسيين في الدعوة السرية حيث استطاعت التأثير القوي على العامة من خلال بث النبوءات المتعلقة بها.
- هذا وقد أبرز تطورها تعدد خيوط الفكرة داخل البيت الهاشمي وعن الصراع السياسي حولها بين الفرع العباسي ممثلا بابي جعفر المنصور الذي راح يبث فكرة أن ابنه محمد المهدي (158-169هـ/ 775-786م) هو المهدي، والفرع العلوي ممثلا في حركة النفس الزكية الذي وصف نفسه بأنه أحق بالأمر من بني عمومته العباسيين.

5. الإحالات

1 - لابد من الإشارة إلى أن هذه العقيدة ورغم ثبوت أصلها الإسلامي عند أهل السنة فان هناك من رفضها، أو على الأقل لم يصرح بإيمانه بها وبأصلها الإسلامي، ومرد ذلك إلى ثلاث أمور أولها، تضعيف الأحاديث الواردة بشأنها، وعلى رأس هؤلاء ابن خلدون الذي خلص إلى: "أنها لم يخلص منها من النقد إلا القليل والأقل منه"، انظر (ابن خلدون، 2001، ص491)، أما الأمر الثاني فهو نسبتها إلى اليهودية والمسيحية، أنظر: (تسيهر، د.ت، ص218) والأمر الثالث هو الظروف الاجتماعية والسياسية التي عاشتها الأمة الإسلامية، انظر: (أمين، د.ت، ص9)، (حسن، 1935، ص48).

2 - اختلف في أصل تسمية الكيسانية بهذا الاسم بين المؤرخين بين من يرى أنها نسبة للمختار الذي كان يلقب بكيسان لذكائه وبين من يرى أن كيسان كان عبدا لعلي ابن أبي طالب، وهو الذي حمله على الطلب بدم الحسين، أو هو مولى لمحمد بن الحنفية، وهناك من يرى أنها نسبة لعبد الرحمن بن كيسان احد شيوخ الشيعة ومصنفي كتبهم، والأرجح أنها نسبة لكيسان أبي عمرة صاحب حرس المختار، لدوره الكبير حتى بعد وفاة المختار في الإضطلاع بتمثيل الجوانب العقائدية لدى أتباعه فانتسبوا إليه ودعوا بالكيسانية، أنظر: (القاضي، 1974، ص ص58 - 70).

6. المراجع

- **المؤلفات:**

ابن الأثير، أبو الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري. (1987). الكامل في التاريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، مج3. بيروت -لبنان: دار الكتب العلمية.

الأزدي، أبي زكريا يزيد بن محمد بن إلياس بن القاسم. (1967). تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة. دون بلد: لجنة إحياء التراث الإسلامي.

الأزدي، أبو الحسن بن ظافر. (د.ت). أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: عصام مصطفى هزايمة وآخرون، ج2. إربد -الأردن: دار الكندي.

الإسفراييني، أبي المظفر. (1983). التبصير في الدين، تحقيق: كمال يوسف الحوت. بيروت -لبنان: عالم الكتب.

الأصفهاني، أبو الفرج. (1965). مقاتل الطالبيين، تحقيق: كاظم المظفر، ط2. قم -إيران: دار الكتاب.

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر بن محمد الإسفرائيني التميمي. (1995). الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت – لبنان: المكتبة العصرية.

البلاذري، أحمد بن يحي بن جابر. (1996). أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، ج3. بيروت -لبنان: دار الفكر.

التبريزي، ولي الدين محمد بن عبد الله. (د.ت). مشكاة المصابيح، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، كتاب الفتن -باب الملاحم. دمشق -سوريا: منشورات المكتب الإسلامي.

الحنبلي، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي ابن العماد العكري. (1988). شذرات الذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، ج2. دمشق -سوريا: دار ابن كثير.

الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت. (2001). تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف. بيروت -لبنان: دار الغرب الإسلامي.

ابن خلدون، عبد الرحمان بن محمد الحضرمي. (2001). المقدمة، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار. لبنان: دار الفكر.

أبو داوود. سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي(د.ت). سنن أبي داوود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، كتاب المهدي حديث رقم4284، ج4. عمان -الأردن: دار إحياء السنة.

الدينوري، أبي حنيفة أحمد لن داوود. (د.ت). الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر. الإسكندرية - مصر: الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز. (1982). سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط واخرون، ط2، ج2. بيروت -لبنان: مؤسسة الرسالة.

الزبيري، أبي عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب. (د.ت). نسب قريش، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط3. القاهرة -مصر: دار المعارف.

ابن سعد، محمد بن منيع الزهري. (د.ت). كتاب الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، ج2. القاهرة -مصر: مكتبة الخانجي.

السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن. (2000). تاريخ الخلفاء. بيروت -لبنان: دار ابن حزم.

السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن. (2006). العرف الوردي في اخبار المهدي، تحقيق أبي يعلى البيضاوي. بيروت -لبنان: دار الكتب العلمية.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. (2000). الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ج17. بيروت -لبنان: دار إحياء التراث الإسلامي.

الطبري، أبو الحسن علي بن سهل ابن ربن. (1973). الدين والدنيا في إثبات نبوة النبي محمد، تحقيق: عادل النويهض. بيروت - لبنان: دار الآفاق الجديدة.

الطبري أبو جعفر محمد بن جرير. (د.ت). تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، ج2. القاهرة -مصر: دار المعارف.

ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا. (د.ت). الفخري في الآداب السلطانية. بيروت -لبنان: دار صادر.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي. (1997). تاريخ دمشق، تحقيق: محب الدين العمروي، ج54. دمشق -سوريا: دار الفكر.

ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد. (1999). الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي. القاهرة -مصر: دار الآفاق العربية.

الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة. (1984). ديوان الفرزدق، ج2. بيروت - لبنان: دار بيروت.

ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب. (د.ت). المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تح: يحي بن عبد الله الشمالي. د.م: دار عالم الفوائد.

الكتبي، محمد بن شاكر. (د.ت). فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، ج2. بيروت - لبنان: دار صادر.

ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي. (1997). البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن محسن التركي، ج19. القاهرة - مصر: هجر للطباعة والنشر.

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. (د.ت). سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبالباقي، كتاب الفتن، باب خروج المهدي، حديث رقم4083، مج2. القاهرة - مصر / بيروت - لبنان: دار الكتاب المصري / دار الكتاب اللبناني.

مؤلف مجهول. (د.ت). أخبار دولة العباسية، تحقيق: عبد العزيز الدوري وعبد المجيد المطلبي. بيروت - لبنان: دار الطليعة.

المسعودي، أبي الحسن علب بن الحسين بن علي. (1893). التنبيه والإشراف. ليدن: مطبعة بريل.

الموصلي، أبو يعلى. (1990). مسند الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، مسند أبي سعيد الخدري، حديث رقم987. دمشق - سوريا: دار المأمون للتراث.

المنقري، ابن مزاحم. (1972). وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط2. القاهرة - مصر: المؤسسة العربية الحديثة.

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب. (د.ت). نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: عبد المجيد ترحيني، ج22. بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.

أبو السعود صلاح. (2004). الشيعة - النشأة السياسية والعقيدة الدينية -، ط2. القاهرة - مصر: مكتبة النافذة.

الإدريسي عبد الله. (2006). المهدي، مراجعة عبد العزيز عز الدين السيروان. بيروت -لبنان: عالم الكتب.

إسماعيل محمود. (1997). الحركات السرية في الإسلام، ط5. القاهرة -مصر: دار سينا للنشر.

أمين أحمد. (د.ت). المهدي والمهدوية. القاهرة -مصر: دار هنداوي.

بدوي عبد الرحمان. (1976). الإنسان الكامل في الإسلام، ط2. الكويت: وكالة المطبوعات.

البستوي عبد العليم. (1999). المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة وأقوال العلماء وأراء الفرق المختلفة. بيروت -لبنان: دار ابن حزم.

جولد تسيهر. (د.ت). العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة: علي حسين عبد القادر وآخرون، ط2. بيروت -لبنان: دار الكتب الحديثة.

حسن سعد محمد. (1935). المهدية في الإسلام. القاهرة -مصر: دار الكتاب العربي.

صبحي أحمد محمد. (1990). نظرية الإمامة عند الشيعة الاثني عشرية. بيروت -لبنان: دار النهضة العربية.

عمر فوزي فاروق. (2005). الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي (41 -334هـ / 661 -956م). عمّان -الأردن: دار مجدلاوي.

القاضي وداد. (1974). الكيسانية في التاريخ والأدب. بيروت -لبنان: دار الثقافة.

لويس برنارد. (1980). أصول الإسماعيلية والفاطمية والقرمطية، تقديم: خليل أحمد خليل. دون بلد: دار الحداثة.

- **المقالات:**

الدوري عبد العزيز. (2009). أوراق في التاريخ والحضارة. بيروت -لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.

لقبال موسى. (1987)، الفاطمية أم المهدويات والامتحان العسير، حوليات جامعة الجزائر، المجلد 2، العدد1، ص ص 151-156.